الستائر الجصية في الفن العربي اليمني

(العقود اليمنية)

دكتور غازي رجب محمد
قسم الآثار ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

لقد ساعد موقع اليمن وثروته اضافة الى طبيعته الجغرافية على قيام حضارة راقية من اهم مظاهرها الاهتمام بالفن المعماري الذي بلغ اوج رقيه وتقدمه آنذاك هذا الفن الذي توارث خصائصه الابناء عن الاجداد على مر العصور فكان ينبوعا غزيرا للحضارة القديمة الخالدة ومفخرة من مفاخر امتنا العربية .

وقد برع الفنان المعماري اليمني في العصر الاسلامي ببناء البيوت والمساكن التي انفردت باسلوب تخطيطها وفن بنائها وزخارفها الرائعة التي ميزتها عن مثيلاتها في الاقطار الاسلامية الاخرى .

اما مواد بنائها فهي الحجر او اللبن او كليهما معا اضافة الى الطابوق ، وكانت صنعاء « طيبة المنازل بعضها فوق بعض الا انها مزوقة »[1]

فالمعمار اليمني استطاع ان يشكل من البيوت الطينية نماذج فنية قيمة بعد زخرفتها وتزويقها وكان جل اهتمامه منصباً على واجهات البيوت ونوافذها . والملاحظ في هذه المدينة وفي غيرها من المدن اليمنية ارتفاع مبانيها

---

(١) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص١٠٩ .

وتجاوزها لسبع او ثمان طبقات يخصص اعلاها لاستقبال الضيوف وللاجتماعات . والدور العلوي يشرف عادة على المدينة ومناظرها الطبيعية الخلابة التي تبعث في النفس البهجة والنشوة والانشراح ويسمى هذا المكان بـ « المنظر والمنظرة »[٢] ويسمى ايضا بـ « المفرج » الذي يمتاز بسعة نوافذه التي تتيح للجالسين التمتع بمباهج البر والجبال .[٣] ويطلق على هذا المكان احيانا اسم « الغرفة الكبيرة » لانها اكبر غرف الدار .[٤] واذا كان هذا المكان صغيرا سمي بـ « الجرف »[٥] وقد تطلق التسمية الاخيرة على النافذة الزجاجية الكبيرة ايضا .[٦] اما في حضرموت فانهم يطلقون على مثل هذه الغرفة اسم « محضرة » تفرش باحسن الرياش لاستقبال الضيوف والنزلاء .[٧]

ولم يقتصر بناء المفرج على الطبقة العليا من الدار بل ان بعضهم بناه مستقلا وبابواب واسعة في حدائق المسلمين ويظل مثل هذا المفرج عادة على نافورة محاطة بالازهار والورود واشجار العنب .[٨]

ويلعب المفرج دورا هاما في حياة المجتمع اليمني فهو غرفة استقبال الضيوف ومجلس القات واقامة الحفلات لذا ينصب اهتمام صاحب الدار عليه فيعتني بتأثيثه وتزيين جدرانه بالمفارش والاطباق المنقوشة وانية الصيني والبلور والنحاس .[٩]

---

(٢) الزبيدي : تاج العروس م٣ ص ٥٧٥ ، العظم : رحلة ص ٩٨ .

(٣) الواسعي : تاريخ اليمن ص ٣١٦ .

(٤) Rathjens, Jewish Domestic Architecture, p. 38.

(٥) الواسعي : ص ٣١٧ .

(٦) جوهر وايوب . اليمن ص ٨٢ .

(٧) اليافعي : تاريخ حضرموت جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٨) زبارة : نشر العرف م١ ص ١٦٨ .

(٩) الواسعي ص ٣١٦ و ٣١٧ .

والاهتمام بالمفرج لم يقتصر على العامة بل تعداه الى الخاصة فالامام المتوكل مثلا بنى في بستانه مفرجا زين جميع جدرانه بالصيني واطلق عليه « منظر الصيني »[١٠] .

وعلى مدخل المفرج بصورة عامة باب ذو مصراعين عليه زخارف من الداخل فقط[١١] ويفتح في جدران المفرج كوى ونوافذ متعددة وتزين جدرانه بزخارف جصية وبصفين من النوافذ يعلو احدهما الآخر يمكن فتح السفلية منها عند الحاجة . اما العلوية فهي ثابتة مغلفة بالواح رقيقة من الرخام أو بستائر جصية مخرمة يزينها زجاج متعدد الالوان وهي التي تعني بحثنا هذا .[١٢]

وبيوت اليمن القديمة قريبة الشبه بالحصون الحربية لارتفاعها ولصغر نوافذها التي تستعمل عادة للدفاع ضد الهجمات اما بيوت القرى فهي مكونة من طابقين ومتلاصقة متراصة مع بعضها وجميع نوافذها وابوابها تطل على الداخل ولا يظهر منها شيء من الخارج فهي اشبه بالقلعة التي لايمكن الوصول اليها الا عن طريق واحد حتى ان المطل عليها من الخارج لا يرى غير جدران صماء .[١٣]

وفي حضرموت يضيقون النوافذ خوفا على انفسهم من هجمات الاعداء وكان بعضهم يجعل مشرف النوافذ على قمرة (شمسة) داخل الدار حتى لاتقع عيون الفضوليين على نسائه .[١٤]

---

(١٠) الواسعي ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(11) Rathjens, Op. Cit., pp. 33 f.

(١٢) ابونتي : مملكة الامام يحي ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(١٣) هيلفريتز : اليمن ص ١١٧ .

(١٤) الشاطري : ادوار التاريخ الحضرمي ج ٢ ص ٦٠ وحاشية ٣ .

وقد يكون الغرض من تضييق النوافذ تلطيف جو الدار وتخفيف حرارة الشمس المحرقة كما في الحديدة .[١٥]

وبتطور الذوق اليمني والفن العماري اصبح الميل شديدا لاستخدام نوافذ واسعة بعض الشيء في البيوت الحديثة مع الاحتفاظ بطابعها القديم والذي يسترعي الانتباه هو انخفاض اسفل النوافذ في الادوار العليا خاصة بحيث يستطيع الجالس فيها مشاهدة جميع المناظر المحيطة به دون عناء .[١٦]

وقد تزخرف الابنية من الخارج بنوافذ كاذبة لاعطاء البناء شكلا جميلا متناسقا خاصة في الجدران التي لا يحسن فتح نافذة فيها .

وعلى الرغم من تطور طريقة البناء في صنعاء الا انها ما زالت تحتفظ بطابعها الخاص المميز .

« ومن صنائع البناء ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء ويخمر اسبوعا او اسبوعين »[١٧]

ويبيض اهل صنعاء بيوتهم من الداخل والخارج بما يسمونه « قص » و « قصة » وهو يشبه الكلس ويصنعونه من احجار خاصة تجلب من شبام الغراس[١٨] (سخيم)[١٩] وتحرق في افران خاصة ثم تطحن فتصبح جاهزة للاستعمال .[٢٠]

---

(١٥) كفافي : يوميات مهندس ص ٢١ : انظر العظم : رحلة ص ٣٢ – ٣٣ .

(١٦) ترسيسي : اليمن وحضارة العرب ص ٧٨ .

(١٧) ابن خلدون : العبر جـ ١ ص ٧٢٧ .

(١٨) الهمداني : الاكليل جـ ٢ ص ٣٨٤ .

(١٩) الاكليل جـ ٨ ص ١٠٤ .

(٢٠) يصنع الكلس في الحديدة بنفس الطريقة من بعض الحجارة البحرية التي تقذفها الامواج الى الشاطى (العظم : رحلة ص ٣١) ونورة المخا « سوداء مثل الماخالقة » (المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٠٠) .

واكثر ما يكون في بيوت صنعاء من المؤذيات شيء من الكتان وهو البق ، وقد يعدم في البيوت المجصصة .[٢١] كما ان البيوت المسيعة بالقصة تكون باردة طيبة في فصل الصيف .[٢٢]

وللجص اليمني مزية التماسك والالتصاق النادرة فهو لا يطبع الالبسة ببياضه اذا اتكأ المرء عليه واذا ثبت فيه مسمار فلا يحدث شقوقا او تفتتا[٢٣] فاذا جصصت به الجدران اصبحت كأنها الفضة البيضاء الناصعة[٢٤] وتعود شدة تماسك هذا الجص الى الخيرة التي تخلط معه وما تحويه من مادة الغرة[٢٥] « وصنعاء تجد فيها البناء المتقن والجص الذي يبيض به المنازل قل ان تجد نظيره في غيرها »[٢٦] .

ويتركز التجصيص من الخارج حول نوافذ البناء وتبدو بيوت صنعاء وغيرها من بيوت اليمن كأنها كتلة قائمة اللون الا من بقع بيضاء حول الشبابيك . كما يرسم البناؤون زخرفة متصلة على شكل شريط مستطيل عند اتصال كل طابق بالذي يليه ويسمى هذا الشريط بـ « الحزام » . ومعظم بيوت حضرموت تطلى في كثير من الاحيان بالجير الابيض[٢٧] الذي قد يعكس الثروة التي يملكها الافراد في المدن اليمنية .[٢٨]

---

(٢١) الاكليل جـ٨ ص ١٠ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٣٤٦ ، الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ص ٢٠٣ .

(٢٢) الاكليل جـ ٨ ص ٩ـ١٠ ، صفة جزيرة العرب ص ٣٥٣ ، الرازى ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢٣) الرازي ص ١٩٦ ، فايان : كنت طبيبة في اليمن ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(٢٤) الرازى ص ١٩٦ .

(٢٥) صفة جزيرة العرب ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ و ص ٣٥٣ حاشية ٥ .

(٢٦) الواسعي : البدر المزيل للحزن ص ٧ .

(٢٧) اليافعي : تاريخ حضرموت جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٢٨) اليافعي : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٤٥ .

وهناك بيوت عالية يرجع تأريخها الى قرون عديدة وهي ذات نوافذ صغيرة يغطيها لوح واحد او لوحين رقيقين من الرخام الشفاف المعروف في اليمن بأسم « القمرية » يسمح بدخول النور من خلاله دون السماح بالرؤية الواضحة « وتؤدى الرخامة لمعان الشمس الى القصة فتقبلها بجوهرها وبريقها »[٢٩] .

ولعل سبب تسمية هذه الالواح بالقمرى بياضها الناصع الذي تتميز به[٣٠] ولأن النور الذي ينفذ منها يكون ابيضا هادئا اشبه بضوء القمر كما ان الواح بعض النوافذ دائرية اشبه ما يكون شكلها بالقمر في ليلة التمام .[٣١] ويشير ابن دريد الى ان « البلق » « حجارة باليمن تضيء ما وراءها كما يضيء الزجاج »[٣٢] لعله يشير بهذا الى القمري .

ولعل الظروف السياسية في وسط وشمال اليمن وبرودة الجو فيها كانا السبب الرئيس للاقلال من النوافذ الحقيقية التي صغر حجمها ولكنهم اكثروا من النوافذ الثابتة المغطاة باستائر الجصية الجميلة وبالقماري .

وتعتبر صناعة القمارى من اختصاص مدينة صنعاء دون غيرها من بلاد العالم لان المرمر لم يستخدم كزجاج للنوافذ الا في هذه المدينة وفي بعض المدن اليمنية الاخرى .

ويجلب القمرى كاحجار كبيرة الى صنعاء من مكان يقال له شبام الغراس (الحرة) حيث يستخرج من مقالع عظمية من باطن الارض على بعد ثمانية امتار[٣٣] ثم يقطع الواحا رقيقة حسب الحاجة .

---

(٢٩) صفة جزيرة العرب ص ٣٥٣ ، ترسيسي : نفس المصدر ص ٥٢ .

(٣٠) تاج العروس ج ٣ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، الدميري حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٢٤ الرازي : مختار الصحاح (بيروت ١٩٧١) ص ٥٥٠ .
Lane, An Arabic - English Lexicon, Part 7, PP. 2562 - 2563.

(٣١) الواسعي : تاريخ اليمن ص ٣١٦ ،

(٣٢) ابن سيدة : المخصص السفر ١٠ ج ٣ ص ٩٧ .

(٣٣) الويسي : اليمن الكبرى ص ٧٢ Scott, In the High Yemen P. 125.

ولعل استخدام الرخام للاضاءة يرجع الى اصول يمنية قديمة ربما وجدناها في قصر غمدان المرجح بناؤه من قبل (الى شرح يحصب الحميري) حوالي سنة ٢٥ ق.م[٣٤] . فقد كان قلعة عظيمة بارتفاع عشرين سقفا كل سقف على ارتفاع عشرة اذرع « وكان في اعلاه غرفة لها لهج وهي الكوى كل كوة منها بناء رخام في مقيل[٣٥] من الساج والابنوس وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة . وقال آخر كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمان قطع مؤلفة وذلك احرى لانهم كانوا يثقبون فيها السرج فترى من رأس عجيب ولا ترى فيها حمرة النار مع الرخامة المسطوحة »[٣٦] .

ومن الطبيعي ان لايتوقف الفن العماري عند هذا الحد من التطور وكان لابد من الخلق والابداع فكانت العقود الجميلة الملونة هي الامتداد لتطور القمارى على مر الزمن لذا لانكاد نجد بيتا يمنيا حديثا تخلو نوافذه من العقود التي تضفى عليه رونقاً وبهاء .

وتتخذ العقود عادة شكلا دائريا او نصف دائري او المدبب ذو المركزين او المدبب ذو الاربعة مراكز وتركب في كل نافذة تقريبا وتعمل عادة من الجص الذي يقسم الى اشكال مخرمة هندسية ونباتية وحيوانية وكتابات عربية مطرزة بالزجاج الملون الذي يعكس الوانه على جدران وارضية غرف المنزل فيثير في النفس البهجة والانشراح .

والمجصصون هم صناع هذا الفن الرائع الفريد تنتقل اليهم مهنتهم بالوراثة وقد تخصصت عوائل مشهورة بهذا الفن خلال العصور المختلفة مثل بيت رسام والحيمي والهمداني والسلامي وسنهوب ومحمد اليمني ومن هؤلاء من كان يهودياً أمثال النداب وأبو السعود[٣٧] .

---

(٣٤) الاكليل ج ٨ (برنستن ١٩٤٠) ص ١٩ .

(٣٥) هو ما يوضع فيه الباب بخشبة او الكوة بخشبها .

(٣٦) الاكليل ج ٨ ص ٢٥ وانظر ص ٢٢ ــ ٢٤ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠١ ــ ٣٠٢ . Scott, Op. Cit., P. 219.

(٣٧) استنادا الى محادثة مع بعض المجصصين .

وبراعة المجصصين وابداعهم يظهر جليا واضحا لو علمت ان الالآت التي يستخدمونها بدائية وبسيطة لاتتعدى السكين للحفر والمرجال (بيكار) والمسطرة (جسكي) للرسم اضافة الى (بروة) و (مالج) للتسطيح .

فالفن العماري في اليمن ابتداءاً من العقود وانتهاءاً بالزخرفة على الجص والخشب يذكرنا بنماذج الزخرفة الموجودة في قصر الحمراء في الاندلس الامر الذي يجعلنا نؤكد على وحدة الحضارة العربية وامتزاجها والتعاون المشترك مع فناني اليمن لبناء قصور الاندلس ونظرة فاحصة الى الزخارف، الجصية الموجودة في الجامع الكبير في زبيد مثلا وفي غيره من الابنية الاسلامية تؤيد هذا الانطباع .

ومن طريف ما يروى ان الوالي العثماني سنة ١٣١٤هـ امر بقلع الابواب والطيقان من بيوت اهل صنعاء العاجزين عن دفع معونة مالية وهذا يدل على ارتفاع تكاليف العقود اليمنية .(٣٨)

وسمك العقود اليمنية يتوقف على مدى سعتها ويتراوح بين ٣ـ٥ سم واكثر العقود سمكا اكثرها مهارة ودقة . والعقد اليمني يتكون على الاغلب من عقدين احدهما امام الآخر ويبعدان عن بعضهما حوالي ١٥ سم وتخريمات العقد الداخلي مسدودة بقطع زجاجية متعددة الالوان ، اما العقد الخارجي فتخريماته خالية من الزجاج او تغطى بزجاج ابيض شفاف . ولعل سبب اضافة عقد خارجي هو وقاية العقد الاصلي من تراكم الغبار والرمال ومن تأثير الامطار كما ان العقد الخارجي مع العقد الداخلي ذو الزجاج المتعدد الالوان يعملان على عكس اشعة الشمس والتخفيف من حدتها .

والعقود اليمنية لاتخلو من الزجاج الملون كالاحمر والاخضر والاصفر والازرق والمفضل هما اللونين الازرق والاحمر بالنسبة للعقد الداخلي واللون الابيض بالنسبة للعقد الخارجي(٣٩) والتنوع في الوان العقد الواحد له اهمية كبيرة في ابراز العناصر الزخرفية المتعددة في كل عقد .

---

(٣٨) الواسعي : تاريخ اليمن ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣٩) فايان : كنت طبيبة في اليمن ص ٩٣ . Rathjens, Op. Cit., P. 42.

والى جانب العقود الرئيسة في المفرج تبنى شبابيك صغيرة ضيقة مرتفعة تجاورها وتغطى من الخارج في معظم الاحيان بستائر جصية مخرمة خالية من الزجاج وهي تشبه المزاغل تستعمل للتهوية وتسمى « الشاقوص » او « الشاروق »(٤٠) .

وعلى العموم فان الستائر الجصية تعلو شبابيك الطابق الاول او الطابق الثاني كما ان وجودها يعتمد على عدد النوافذ الموجودة في كل طابق بحيث تسمح بدخول اكبر كمية من الضياء والا تركت النوافذ بدون عقود .(٤١)

وقد اعتمد الفنان اليمني في هذا المضمار الزخارف النباتية والحيوانية والهندسية والكتابية ونلاحظ في الزخارف النباتية دقة تفكير الفنان ومهارته في الاداء وبراعته في الرسم والحفر فهو لم يعتمد على الاشكال التقليدية بل تعداها بحذق الى انسيابية التفريعات ورشاقتها التي تمتد وتجرى في اتجاهات مختلفة ومتقاطعة مع بعضها في اغلب الاحيان . وهي من نوع الزخارف التي تم تكوينها الاسلامي في القرن الخامس الهجري .(٤٢)

ومن العناصر التي اقبل عليها الفنان واهتم بزخرفتها وتلوينها وتزويقها واظهارها بأبهى حلة هي الاغصان واوراق العنب والزهرات والمراوح النخيلية وانصافها وغيرها .

« وينفرد العربي بخياله الهندسي الذي ينصب على الكتلة فيقسمها ويجزئها ويحولها الى خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقب وتمتد الى ما لا نهاية . »(٤٣)

والزخارف تقوم اساسا على التكرار المتقن الذي لا يمل المرء من متابعته وقد استطاع الفنان ان يخلق من الجمع بين الاشكال النباتية والهندسية اشكالا

---

(٤٠) الالوسي : بلوغ المرام ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٤١) ترسيسي ص ٧٨ . Rathjens, Op. Cit., PP. 16 f.

(٤٢) حسن : فنون الاسلام ص ٦٢٢ .

(٤٣) فكري « عوامل الوحدة في الآثار الاسلامية بالبلاد العربية » المؤتمر الثالث للآثار العربية ، فاس ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٧٢ .

زخرفية لاحصر لعددها وتنوعها • ومن هنا ابتدعت اشكالا فريدة كانت عنصرا من العناصر الهامة في الزخرفة العربية الاسلامية وكالعادة لجأ الفنان العربي الى دمج الواقع بالخيال فقرن عناصر خيالية بالعناصر السابقة من اجل ملء كل جزء من اجزاء السطح المراد زخرفته •

فالكتابة العربية نبعت في الجزيرة العربية وهي تمثل الاصول العربية للفنون الاسلامية ووفرة الزخارف المخرمة جعلت الكتابة متصلة اتصالا وثيقا بجملة التصميم وكثير من العقود اليمنية اشترك الخط العربي في زخرفتها الى جانب الزخارف الاخرى •

ولدى فناني العقود اليمنية الحاليين اصطلاحات عديدة على انواع الزخارف المنجزة فوق عقودهم منها الزنجيري ـ نصف زنجيري ـ عقيق ـ نصف عقيق ـ جرايد ـ خواتم ـ زهرات ـ شجرى ـ حاشية رأس ونصف وغيرها من الأسماء التي يصعب حتى على الفنانين انفسهم تفسيرها في كثير من الاحيان •(٤٤)

وطريقة عمل العقود قديمة تقليدية فبعد ان يخمر الجص يعمل منه طبقة ذات سمك يتوقف على سعة العقد ورغبة طالبه وذلك فوق قاعدة خشبية وقبل ان تجف هذه الطبقة ترسم عليها الزخارف المطلوبة ثم تقطع الفراغات الموجودة بين الخطوط بآلات متنوعة كالتي ذكرتها آنفا •

وهذا النوع من العقود اكثر انتشارا في المناطق الوسطى والشمالية من اليمن ولعل سبب ذلك هو طبيعة المناخ المساعد لأقامة شبابيك ثابتة لا تفتح هذا اضافة الى ان طبيعة البناء اليمني يتطلب اضافة مثل هذه النوافذ لتزيد البهجة والضياء داخلها •

فالشبابيك الجصية المخرمة تعتبر سمة مميزة للمعمار اليمني وتعكس اجمل الأثر في النفس من الخارج عند اضاءة الغرف ليلا ومن الداخل اثناء النهار عندما تنفذ منها انوار مفرحة تنعكس الوانها على الجدران البيضاء •

---

(٤٤) محاورة شخصية مع احد الفنانين •

وامام بعض الشبابيك في البيوت اليمنية ما يشبه الصندوق يبرز عن الجدار حوالي ١٠ــ٢٠ سم يقوم مقام ما يعرف بأسم « مشربيات » ويبنى من الاجر او الحجر مزود بفتحات عديدة في واجهته واسفله يمكن منها مراقبة ما يجري امام باب الدار كما انها تعمل على تهوية الدار وادخال نور هادئة اليها اضافة الى حماية نساء الدار من الاعين الخبيثة .

وقد سدت النوافذ الكبيرة في العصر التركي بشبابيك زجاجية تتكون من صفاقتين داخل اطار يتصل بفتحة النافذة . والشبابيك الزجاجية من مميزات الفترة الاولى للحكم العثماني وهي تغطى بابواب خشبية صغيرة ذات مصراعين فوق كل شباك وهذه المصاريع مزخرفة بزخارف جميلة جدا يمكن رؤيتها من الخارج عند فتحها ومن الداخل عند اغلاقها .(٤٥) ويعلو الشبابيك الخارجية سقف خارجي مائل صغير يحميها من المطر . وقد استعيض احيانا عن هذه الابواب بستائر خشبية مشبكة على شكل قفص بارز يضيق كلما ارتفع الى اعلى(٤٦) . ولهذه المشبكات فائدتها العمارية في التهوية الدائمة وفي الأضاءة اضافة الى التخفيف من حدة الضوء الداخل الى البناء وقد عجز معماريو الغرب عن تفهم عمق الحلول العمارية في الشرق واقتباسهم لاشكالها دون جوهرها .

وصناعة الزجاج كانت معروفة قبل الاسلام في جنوب غرب الجزيرة العربية الا انها لم تستمر في القرون الاسلامية الاولى ولم تتجدد(٤٧) ، فقد استخدم الزجاج الفينيقي في الستائر الجصية التي زينت قصر الحير الغربي في بلاد الشام .(٤٨)

اما اقدم نماذج هندسية للستائر المخرمة في العصر الاسلامي فنجدها في جامع دمشق والتي يرتبط تأريخها بتأريخ بناء الجامع وهي من الرخام المفرغ

---

(٤٥) Rathjens, Op. Cit., PP. 17, 41-42.

(٤٦) الواسعي : تاريخ اليمن ص ٣١٦ Rathjens, Op. Cit., PP. 42-43.

(٤٧) Rathjens, Op. Cit., PP. 31 f.

(٤٨) عبدالحق « اسهام في دراسة الزجاج » الحوليات ١٩٥٥ ص ٨ــ٩ نقلا عن بهنسي « تكون الفن العربي » الحوليات ١٩٧٢ ص ٢٨ .

في اشكال هندسية غاية في الدقة والابداع تعكس مدى استهانة الفنان بالزمن والجهود في سبيل الوصول الى الكمال الفني .(٤٩)

واقدم الشبابيك الجصيـة المخرمة في مصـر وجدت في جامع احمد بن طولون وهي خالية من الزجاج واغلب الظن ان ثلاثة او اربعة من الشـبابيك فقط يرتبط تأريخها بزمن تأسيس الجامع وبعض الشبابيك الأخرى تشبه احد الستائر الرخامية في جامع دمشق اذ ان زخارفها معمولة بالبيكار من دوائـر واجزاء دوائر وهذا الشكل لم يتكرر بعد القرن العاشر .(٥٠)

والستائر الجصية المخرمة بانواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية وجدت في جامع الازهر وجامع الحاكم وجامع الصالح طلائع آخر آثار العصر الفاطمي ولكن موهبة الفنان العربي وقدرته الخلاقة المبدعة لم تتوقف عنـد هذا الحد فقد استطاع بسمو ذوقه ورقة احساسه بالجمال ان يطور هـذه الستائر المخرمة باضافة قطع الزجاج الملون بما يتلائم مع ذوقه واحساسه الفني المرهف فابرزت القطع الزجاجية الملونة التي ملأت بها الاجزاء المفرغة مـن الستائر صورتها وعناصرها الزخرفية المختلفة ويرجع تأريـخ هذا التطور الى اواخر العصر الفاطمي .(٥١)

ويبدو ان ازدهار فن العقود المطرزة بالزجاج في اليمن كان مقترنـا بازدهاره في مصر خصوصا بعد ان تطورت العلاقات بين الفاطميين في مصـر والصليحيين في اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .(٥٢)

وعلى الرغم من استمرار التقاليد الفاطمية في فنون الزخرفة في العصـر الايوبي الا ان خالقي حضارتنا العربية من الفنانين ابتكروا اساليب جديدة في

---

(٤٩) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤١ و ٦٢٠ ، فريد شافعي : العمارة العربية م١ ص ٢١٥ .

(٥٠) فريد شافعي : العمارة العربية م١ ص ٢١٥ .
Creswell, Ashort Account of Early Muslim Architecture, P. 313.

(٥١) شافعي : نفس المصدر م١ ص ٢١٥ .

(٥٢) سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (١٩٦٤) ص ٧٧ وما بعدها .

فن العقود فقد استخدموا قطعا من الزجاج الملون لملىء ستائر جصية مستدير الشكل اطلق عليها اسم (القمرية) كما استخدموا اشكالا اخرى تسمى بـ « الشمسية » . وفي قبة الصالح ايوب تتمثل لنا نماذج من هذه الشبابيك .(٥٣)

واغلب الظن ان اصطلاح الشمسية مشتق من « الشمسة » التي هي عبارة عن « حلية ضخمة كانت ترسل الى الكعبة في موسم الحج في صحبة قائد خاص لتعلق في وجه الكعبة وانها تشبه الشمس ولها اثنى عشر ذراع تشبه اشعة الشمس .. قصدا ليمثل عدد شهور السنة فموسم الحج يحل بعد مضي اثنى عشر شهرا اى سنة كاملة . والاهلة الموجودة في نهاية الاشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية » .(٥٤)

وقد ازدهر فن العقود في العصر المملوكي وبالغ الفنان في العناية بحفرها وتطويرها بالزجاج المتعدد الالوان وعمد الى تصغير الوحدات الزخرفية وتطوير اشكالها .(٥٥) ونجد في مساجد هذا العصر وفي الخانقاه الجاولية نماذج من الشبابيك المصنوعة من الحجر المخرم المفرغ باشكال زخرفية وفي مسجد الظاهر بيبرس (١٢٦٦ ــ ١٢٩٦م) في القاهرة ستائر جصية مخرمة ذات اشكال هندسية وتفريعات نباتية باقية الى اليوم لتحدثنا عن نوابغ فنانينا وامجاد اجدادنا وعنايتهم بالكمال في جميع نواحي الحياة .(٥٦)

وفن تخريم الستائر الجصية والرخامية انتشر في مختلف انحاء العالم الاسلامي وما تزال امثلة منه قائمة الى اليوم في مصر والشام والعراق وشمالي افريقيا والاندلس وكذلك في الهند حيث اتجهت في القرن الرابع عشر الى صناعة التخريم الدقيق في ستائر النوافذ وغيرها كما هو واضح في تاج محل .(٥٧)

---

(٥٣) فكرى : مساجد القاهرة ج ٢ ص ٨٤ .

(٥٤) المقريزي : اتعاظ الخفا ص ١٤٠ حاشية ١ .

(٥٥) كونل : الفن الاسلامي ص ١١٠ .

(٥٦) ديماند : الفنون الاسلامية ص ١١٠ ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٩٨ .

(٥٧) كونل : نفس المصدر ص ١٥٨ ، زكي محمد حسن فنون الاسلام شكل ٥٧٠ .
Rice, Islamic Art, Fig. 14.

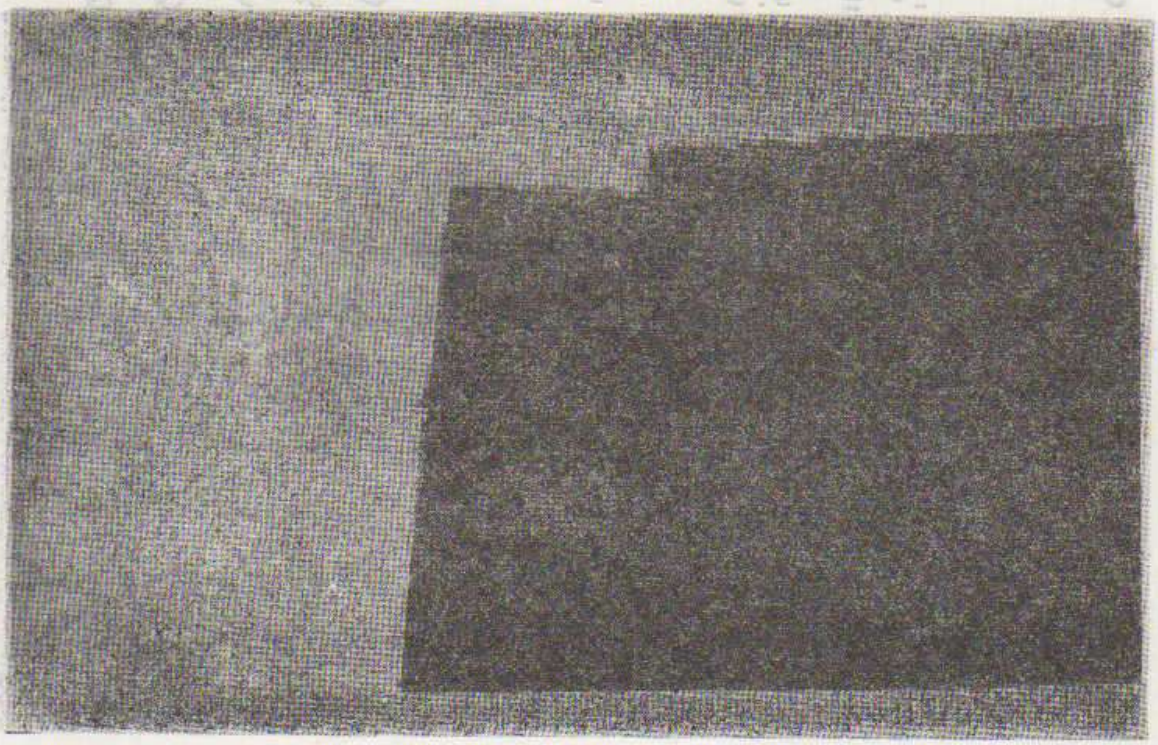

القسم العلوي من دار فيه ستائر جصية مخرمة وفتحات ضيقة
جصص حول بعضهـا

دار من خمسة طوابق في مدينة ثلا شمال صنعاء يظهر في جدرانها : ستائر جصية مخرمة ـ نوافذ مشربيتان ـ نوافذ كاذبة ـ المفرج في الاعلى

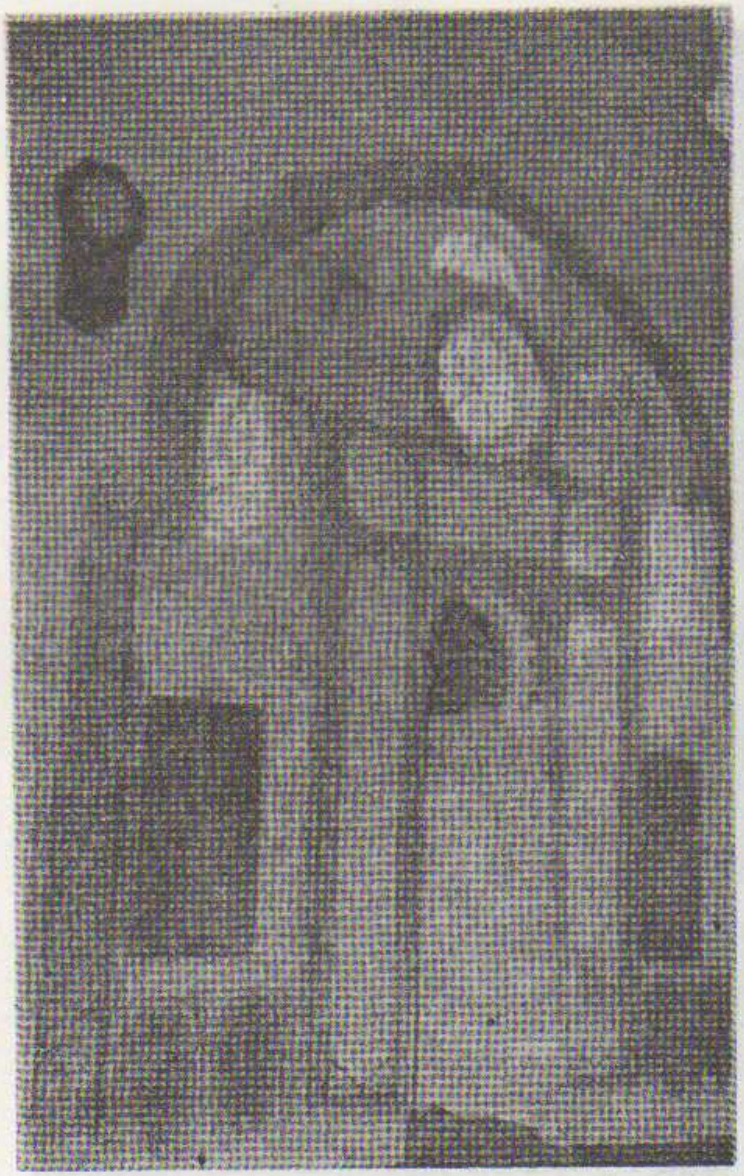

ستائر جصية مخرمة تطرز محراب المؤخرة ـ جامع الروضة

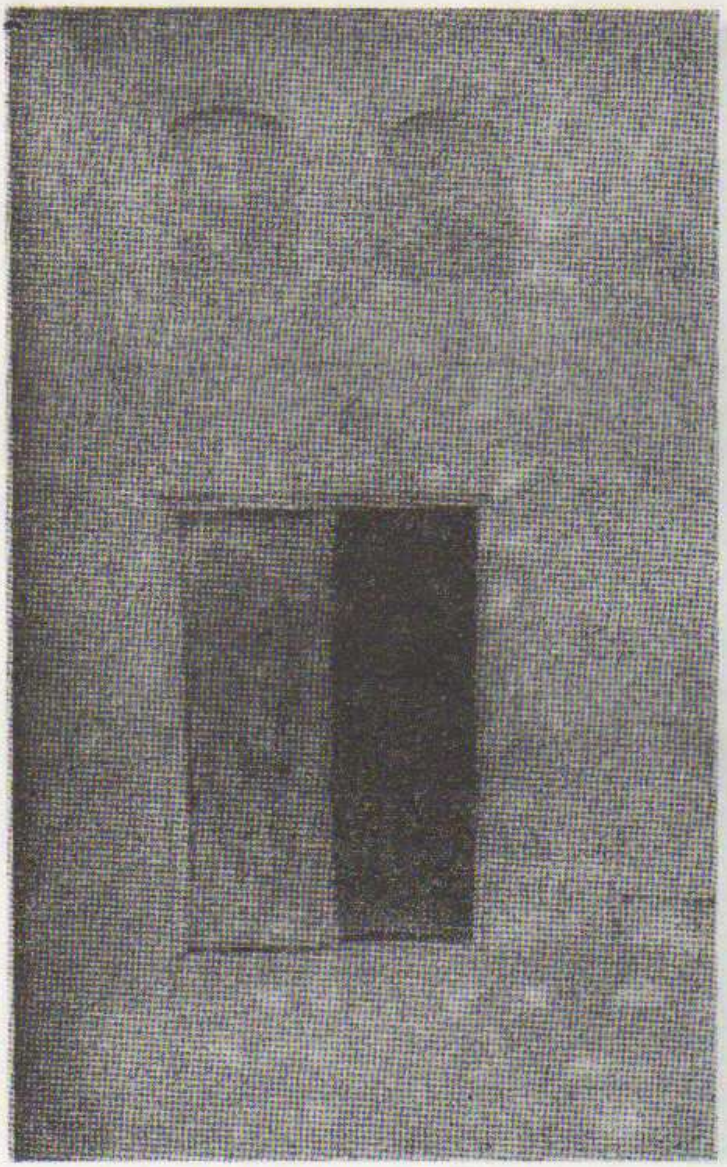

قماری رخامیة مستحدثة فوق مدخل رواق ـ جامع شباکه کوکبان

قمارى رخامية فوق نافذة مستحدثة في اروقة جامع شباكه كوكبان

المراجع

١ ـ ابن خلدون (عبدالرحمن)
كتاب العبر ط ٣ (بيروت ١٩٦٧)

٢ ـ ابن رستة (أبو علي) : الاعلاق النفيسة (بريل ١٩٦٧) .

٣ ـ ابن سيدة (ابي الحسن) : المخصص (بيروت)

٤ ـ ابن كثير (ابو الفدا) : البداية والنهاية (بيروت والرياض ١٩٦٦)

٥ ـ ابونتي (سلفاتور) : مملكة الامام يحي (القاهرة ١٩٤٧)

٦ ـ جوهر (حسن) وايوب (محمد) : اليمن (القاهرة)

٧ ـ حسن (زكي) : فنون الاسلام (القاهرة ١٩٤٨)

٨ ـ الدميري (كمال الدين) : حياة الحيوان الكبرى (بيروت)

٩ ـ ديماند (م . س .) : الفنون الاسلامية (القاهرة ١٩٥٨)

١٠ ـ الرازي (احمد بن عبدالله) : تاريخ مدينة صنعاء (صنعاء ١٩٧٤)

١١ ـ الرازي (محمد بن ابي بكر) : مختار الصحاح (بيروت دمشق ١٩٧١)

١٢ ـ زيارة (محمد بن محمد بن احمد) : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف (القاهرة ١٣٥٩ ـ ١٣٧٧)

١٣ ـ الزبيدي (محمد مرتضى) : تاج العروس (بيروت)

١٤ ـ الشاطري (محمد بن احمد) : ادوار التاريخ الحضرمي (جدة ـ المكلا ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢)

١٥ ـ الشافعي (فريد) : العمارة العربية في مصر الاسلامية (الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠)

١٦ ـ العظم (نزيه) : رحلة في بلاد العربية السعيدة (القاهرة)

١٧ ـ فكري (احمد) : مساجد القاهرة ومدارسها ـ العصر الايوبي (القاهرة ١٩٦٩)

١٨ ـ فايان (كلودي) : كنت طبيبة في اليمن (بيروت ١٩٦٣)

١٩ ـ كونل (ارنست) : الفن الاسلامي (بيروت ١٩٦٦)
٢٠ ـ المقريزي (تقي الدين) : اتعاظ الحنفا (القاهرة ١٩٦٧)
٢١ ـ المقدسي (شمس الدين البشاري) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (بريل ١٩٦٧)
٢٢ ـ الويسي (حسين بن علي) : اليمن الكبرى (القاهرة ١٩٦٢) .
٢٣ ـ الواسعي (عبدالواسع) : البدر المزيل للحزن (القاهرة ١٣٤٥)
٢٤ ـ تاريخ الاكليل جـ ٨ (بغداد ١٩٣١) .
٢٥ ـ الهداني (الحسن بن احمد) : الاكليل جـ ٨ (بغداد ١٩٣١)
٢٦ ـ صفة جزيرة العرب (الرياض ١٩٧٤) .
٢٧ ـ هيلفريتز (هانز) : اليمن من الباب الخلفي (بيروت ١٩٦١)
٢٨ ـ اليافعي (صلاح البكري) : تاريخ حضرموت السياسي (القاهرة ١٣٥٤ ـ ١٣٥٥)
٢٩ ـ ياقوت : معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦)
٣٠ ـ Lane, E. W.
An Arabic - English Lexicon (Beirut 1968).
٣١ ـ Rathjens, C.
Jewish Domestic Architecture in Sana (Jerusalem 1957)
٣٢ ـ Rice, D. T.
Islamic Art (London 1975)
٣٣ ـ Scott, H.
In the High Yemen (London 1942).